

مقدمة

العديد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية: كالأسرة، **هناك** والمدرسة، والمجتمع التي تسهم في تنشئة الفرد تنشئة صالحة من خلال ما توفره له من مناخ مناسب. فالمناخ الأسرى يلعب دوراً هاماً في تنمية ملكات وقدرات الطفل، حيث يحقق المناخ الملائم أهم مطالب النمو النفسى والاجتماعى للطفل.

وتعد المدرسة هي البيئة الثانية التي يواصل الطفل فيها نموه وإعداده للحياة المستقبلية والتي تمهد القالب الذى صاغه المنزل لشخصية الطفل - بالتهذيب والتعديل بما تهيئه له من نواحي النشاط - لمرحلة النمو التى هو فيها بدءاً من مرحلة رياض الأطفال وحتى تخرجه من مرحلة التعليم الثانوى.

ويظهر دور المجتمع فى تنشئة الفرد من خلال قضائه معظم حياته بين أشخاص آخرين يتفاعل معهم، ويتأثر بهم، ويؤثر فيهم. فهو يكتسب منهم المعايير والقيم والاتجاهات وتنشأ لديه العواطف والاهتمامات^(١).

ومن هنا تتضح أهمية دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية - وبصفة

(١) مجدى عبد الكريم حبيب: تنمية الإبداع فى مراحل الطفولة المختلفة، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٥٤ - ٢٥٧. (بتصرف).

خاصة المدرسة - في توفير المناخ الملائم لتنشئة الفرد تنشئة صالحة ليكون مواطناً صالحاً. أما إذا حدث قصور في إحدى هذه المؤسسات فتظهر العديد من المشكلات الاجتماعية التي تعوق نمو الفرد، وتؤثر في حياته النفسية والاجتماعية.

والواقع الحال للبيئة المدرسية يشهد في الآونة الأخيرة في مصر وفي بلدان العالم بعضاً من الظواهر السلبية التي يمكن أن تؤثر سلباً في مجرى الأمور داخل المدرسة، ومن أشهرها العنف، فيرى البعض أنه ظاهرة من الظواهر التي ظهرت على مسرح الحياة بشكل فج؛ ولذا فهي تستحق الدراسة والبحث من مختلف التخصصات^(١). ومن الملاحظ أن جرائم العنف خلال السنوات الأخيرة قد أصبحت أمراً مثيراً للقلق، وذلك لتزايد حجم هذه المشكلة من جهة، واتجاه العنف إلى أنماط غير مألوفة تقسم بالقسوة واللامبالاة من جهة أخرى^(٢).

ولعل الدافع للاهتمام بالعنف أن العالم بأسره محاط بأشكال متنوعة من العنف وغيره من أشكال الجرائم التي تشكل خطراً يهدد كيانات الدول والمجتمعات وسيادة القانون ونوعية الحياة، وقد

(١) محمد خضر عبد المختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي (سوهاج)، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣.

(٢) بهاء الدين إبراهيم محمد: «جرائم العنف وطرق مكافحتها»، مجلة الدفاع الاجتماعي، الرباط، المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة، عدد ١٠، ١٩٨٠م، ص ١٦٩.

أثبتت الاختبارات والحوادث أن النزاعات داخل المدن تهيئ الساحة للنزاعات العنيفة على الصعيد الوطني أو الدولي بما في ذلك الأنشطة الإرهابية^(١).

وعلى الصعيد العالمي ، فقد تزايدت مشكلة العنف في المجتمعات الحديثة ومنذ فترة ليست بالقصيرة ، وعلى سبيل المثال فقد أعلن الرئيس السابق «جورج بوش الأب» في خطابه في ١٨ إبريل عام (١٩٩١) أن: «الكوارث الجديدة قد أصابت أبنائنا ، ومن هذه الكوارث والنكبات إدمان المخدرات والمسكرات والعنف العشوائي ، والحمل في سن المراهقة (وخارج نطاق الزواج) ، ومرض فقدان المناعة المكتسبة (الإيدز) ... إلخ»^(٢) ، ومما يؤكد ذلك ما أعلنته أكثر من نصف المدارس العامة في الولايات المتحدة الأمريكية عن حدوث جرائم العنف خلال العام الدراسي ٩٦ - ٩٧ ، وزيادة معدل الجريمة والعنف في مدارس التعليم الثانوي المتوسطة والعليا أكثر من المدارس الابتدائية^(٣).

(١) سناء خليل ، أحمد وهدان وآخرون: المؤتمر التاسع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين ، عرض وتقييم ، المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية ، قسم بحوث الجريمة ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٦٣ .

(٢) وثيقة «أمريكا عام ٢٠٠٠ : استراتيجيات للتربية» ، ترجمة / محمد عزت عبد الموجود ، مركز البحوث التربوية ، مطابع الدوحة ، جامعة قطر ، ١٥ من فبراير ١٩٩٢ ، ص ٨٨ .

(3) Shella Heaviside et al: Violence And Discipline Problems In U.S. Public School: 1996-97. National Center for Education Statistics. Washington. DC., 1998. p. 145.

وعلى الرغم من أن حوادث العنف في مصر لم تصل إلى درجة الخطورة القصوى كما في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنه من الضروري الاهتمام بالبحث حول بعض مظاهر العنف التي تظهر حالياً بين الشباب والتي تتضح من خلال المتابعة لوسائل الإعلام.

وتتضح ملامح العنف بين طلاب المدارس الثانوية بنوعيتها (العام والفنى) حيث كثرت الشكاوى من الطلاب مما يؤدي إلى ثقل المسئولية الملقاة على كاهل الإدارة التعليمية، ويدفع إلى عدم الاستقرار في المدرسة، ويؤدي إلى حالة من التوتر لا تسمح بسير العملية التعليمية والتربوية في طريقها الصحيح^(١).

ولما كان العنف في المدارس يمثل مشكلة يمكن أن تعرقل مسيرة التربية والتعليم في مصر. فقد اتجهت إلى محاولة توضيح دور المدرسة الثانوية في التغلب على انتشار العنف لدى طلابها بمصر في ضوء الخبرة الأمريكية ومعرفة كيفية التصدي لهذه المشكلة لكي يتسنى للمسؤولين اتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة عوامل انتشار العنف. ذلك لأن مظاهر العنف هذه وغيرها تشجع على التقليد وارتكاب جرائم العنف، والتي هي النتيجة المنطقية لحالة القلق وعدم الاستقرار الذي يعيش فيها الطلاب نظراً لتعدد سبل الحياة وتصارع القيم بين الأجيال

(١) الفريد وفرلان: «مشكلات الانضباط في النظام المدرسى في المكسيك»، ترجمة/ بهجت عبد الفتاح عبده، مجلة المستقبليات، مراقبة الانضباط في المدارس. مجلد ٢٨. عدد ٤، البيونسكو، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٥٥٧ - ٥٥٨.

القديمة والحديثة ، وعدم رضائهم عن النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي باتوا يعتقدون أنها فشلت في تحقيق الحياة الكريمة لبنى الإنسان^(١).

ونظرًا لعملى بالتدريس فى المرحلة الثانوية بشقيها العام والفنى ، فقد عايشت أحداث شغب وعنف تتمثل فى مظاهر العنف المختلفة حيث أصبح العنف الآن ظاهرة عالمية وليست محلية فقط، ففي مصر تفجرت خلال عام (١٩٩٧) مسألة العنف الجنائى ، التى دار جدل واسع حولها ، وعرفت بأسماء عدة أكثرها شيوعًا «البلطجة» أو «العنف الاجتماعى» أو «العنف العشوائى» أو «العنف المستأجر»... إلخ. ووصل عددها إلى ١١٠٨ جرائم خلال الأعوام ٩٩/٩٦ بمتوسط ٢٧٨ جريمة فى السنة^(٢) ، وجاء تفجرها بفعل تراكم مشكلات متنوعة اجتماعية وأمنية وسياسية واقتصادية وقيمية^(٣).

«وانتشار ظاهرة العنف فى الآونة الأخيرة على المستوى العالمى والمحلى هيبأ المناخ للترويج لها على المستوى المؤسسى ، خاصة فى

(١) عصام المليجى : «جرائم الطلبة ، دراسة إحصائية» ، المجلة الجنائية القومية ، مارس ١٩٧٣ ، ص ٣.

(٢) وزارة الداخلية : مصلحة الأمن العام ، إدارة الإحصاء الجنائى التابعة لإدارة العامة للمعلومات والمتابعة الجنائية ، بيانات عن جرائم الطلبة على مستوى الجمهورية فى الفترة من ٩٩ / ٩٦.

(٣) وحيد عبد المجيد : التقرير الاستراتيجى العربى لسنة ١٩٩٧ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٣١١.

المدارس الثانوية، إذ نجد طلبة في مقتبل العمر يحملون الآلات الحادة، ويعتدون على زملائهم ومدرسيهم بمختلف أنواع العنف، مما يؤدي إلى فقدان الأمن والأمان داخل هذه المدارس^(١).

ويظهر العنف بين طلاب المرحلة الثانوية في صورة اعتداء الطلبة على زملائهم أو تحطيم أثاث المدرسة أو الاعتداء على المدرسين وأعضاء الهيئة الإدارية بالمدرسة أو الانضمام إلى بعض التنظيمات المنحرفة أو حالات الغش الجماعي^(٢).

كما يوضح أحد التقارير أن «من يلاحظ سلوكيات تلاميذ المدارس يستطيع رصد مظاهر العنف السائدة في العلاقات بينهم، مما يشير إلى تفاقم حدة الأزمة الأخلاقية والسلوكية التي تحتاج إلى وضع استراتيجيات للحد منها والتحكم فيها»^(٣).

من أجل هذا يسعى الكتاب إلى التعرف إلى الاتجاهات والنظريات المفسرة للعنف، وكذلك إلى عوامل انتشار العنف في مدارس التعليم

(١) كوثر إبراهيم رزق: «العنف في طلاب المدارس الثانوية العامة والفنية: دراسة تشخيصية وعلاجية مقارنة»، مجلة كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، العدد ٣٩، يناير ٢٠٠٢، ص ١٧٧.

(٢) رئاسة الجمهورية، تقرير المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، الدورة الخامسة والعشرون، المجالس القومية المتخصصة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٨.

(٣) تقرير المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب والإعلام، الدورة الثامنة والعشرون، المجالس القومية المتخصصة، القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٢٦.

الثانوى بالولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها دولة متقدمة ولديها العديد من البرامج التى تسهم فى الحد من ظاهرة العنف فى المدارس ومواجهته، كذلك التعرف إلى عوامل انتشار العنف فى مدارس التعليم الثانوى بمصر والتوصل إلى بعض المقترحات التى تسهم فى تفعيل دور المدرسة الثانوية فى مصر لمواجهة عوامل انتشار العنف. مما يساعد المسئولين عن السياسة التعليمية فى مصر والتخطيط التربوى على اتخاذ قرارات سليمة تسهم فى مواجهة العنف.

وللمزيد من الاستفادة نرجو من القارئ أن يتعرف إلى بعض المصطلحات التى استخدمت فى الكتاب، وهى:

أولاً: العنف:

ويرجع أصل كلمة العنف Violence إلى الكلمة اللاتينية Violentia والتى يشير معناها إلى استخدام القوة⁽¹⁾. وقد ورد فى قاموس «لونجمان» أن العنف هو استخدام القوة المادية لإنزال الأذى، أو إلحاق الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وأنه الفعل أو السلوك الذى يتصف بهذا، وأنه التقاليد التى تميل إلى إحداث الضرر الجسدى أو إلى التدخل فى الحرية الشخصية⁽²⁾. ويرى «دان أولوز» أن العنف هو أى سلوك خارجى

(1) Raymond B. JR. Flannery: Violence In American: Coping With Drugs, Distressed Families, Inadequate Schooling And Acts of Hate, Continuum, New York. 1997. P. 20

(2) Longman dictionary of contemporary English: 3rd edition. Longman Group LTD. 1995, p. 1596.

ينتج عنه ألم أو ضرر واقع على الضحية أو الآخرين^(١). وقد يبدو العنف من المفاهيم الواضحة. إلا إنه يُعد من المفاهيم المعقدة^(٢). ولكي يتم تحديد العنف تحديداً دقيقاً، يتطلب ذلك التفرقة بين كل من:

(أ) العنف الشرعي: ذلك العنف الذي يستند على أرضية مشروعة من القوانين أو الأعراف أو الأنظمة أو القيم أو التقاليد، ومثال ذلك عنف بعض ألعاب القوى والمباريات الرياضية.

(ب) العنف غير الشرعي: ذلك العنف الشائع في معناه بين غالبية الناس، حيث يلتصق بطبقة اللاشرعية ويخالف القانون أو الأخلاق، وهو سلوك يتجاوز حدود تسامح المجتمع، كالقتل والإيذاء وبقية أنماط العنف الإجرامى^(٣). وفي ضوء، ما سبق يمكن تحديد المقصود بالعنف في هذا الكتاب تحديداً إجرائياً على أنه:

١ - العنف غير الشرعي وهو ذلك النمط من السلوك العدواني البدني أو اللفظي غير المقبول الذي يصدر عن طلاب مدارس التعليم الثانوي بنوعيهما، ويسبب هذا السلوك تأثيراً سلبياً على الآخرين.

(1) Amanda Ross: Preventing Bullying! A guide for parents. kids Cape teustee, Strath., Univ., 2001, P. 1.

(2) James William Coleman and Donald R. Gressey: Social Problems, New York: Harper & Row Publishers, 2nd edition, 1987, P. 438.

(٣) عدنان الدوري: العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب الرياضي: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، دور الإعلام في توجيه الشباب، أبحاث الندوة العلمية الخامسة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧، ص ص ١٣٣ - ١٣٤.

٢ - يأخذ هذا السلوك صورًا متعددة منها:

● الاعتداء اللفظي والبدني على الذات والزملاء والمدرسين والعاملين بالمدرسة.

● إلحاق الأذى أو تحطيم ممتلكات الغير من الزملاء بالمدرسة.

● إلحاق الأذى أو تحطيم ممتلكات المدرسة (أثاث المدرسة، أدوات النشاط، الأبنية، وغيرها).

● مخالفة النظام المدرسي.

ويتضح مما سبق أن العنف عائق يمنع تحقيق أهداف العملية التعليمية، فهو مشكلة نسعى إلى تحديدها ووضع بعض المقترحات التي يمكن أن تساهم في التغلب عليها.

مفاهيم مرتبطة بالعنف:

ترتبط بالعنف بعض المفاهيم الأخرى مثل مفهوم العدوان والقوة والإرهاب، والتطرف، والتعصب، ويتناول الكتاب هنا توضيح المقصود بكل من هذه المفاهيم، وتوضيح العلاقة بينها وبين مفهوم العنف.

وفيما يتعلق بمفهوم العدوان، يرتبط هذا المفهوم بالعنف في أحوال كثيرة، حيث يستخدم كل من المفهومين على أنهما مترادفان، كما تعرض نظريات العدوان في إطار الحديث عن العنف أو العكس ويستخدمها باحثون آخرون بالتبادل بشكل يصعب معه وضع حدود فاصلة بينهما، سواء في التناول النظري أم الواقعي^(١).

(١) معتز سيد عبد الله: «الاتجاهات التعصبية»، مجلة عالم المعرفة، الكويت:

العدد ١٣٧، مايو/آيار ١٩٨٩، ص ٨٩.

كما قد يخلط البعض بين العنف ومفهوم القوة وغالباً ما يستخدم مفهوم القوة في أحاديثنا اليومية كمرادف للعنف، خصوصاً إذا ما كان العنف يستخدم كوسيلة للإجبار على ارتكاب سلوك غير مرغوب فيه^(١).
ويعد مفهوم الإرهاب من المفاهيم وثيقة الصلة بمفهوم العنف، حيث يمثل العنف أحد المظاهر الرئيسية للإرهاب أو يمكن اعتبار العنف وسيلة يتخذها الإرهاب لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه. ويمكن تعريف الإرهاب بأنه استخدام العنف غير القانوني أو التهديد بأشكاله المختلفة - كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنفس - بغية تحقيق هدف سياسي معين^(٢).

كما يعد مفهوم التطرف أحد المفاهيم التي ترتبط بالعنف ويمكن تعريف التطرف بأنه الجنوح فكرياً وسلوكياً إلى أقصى اليمين. أو إلى أقصى اليسار، وهو ينشأ من التناقض في المصالح أو القيم بين أطراف تكون على وعى وإدراك لما يصدر منها مع توفر الرغبة لدى كل منهما للاستحواذ على موضوع لا يتفق - بل وربما يتصادم - مع رغبات الآخرين مما يؤدي إلى استعمال العنف الذي يؤدي إلى تدمير الجانب الحضاري في الكيان البشري^(٣).

(1) Delwyn and Eva Tattum: Bullying The Early Years, Published by University of Wales Institute, Cardiff, Countering Bullying Unit, 200. P. 3.

(2) موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج ١، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٥٣.

(3) حسن محمود خليل: المواجهة: مواقف الإسلام من العنف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٠.

ويعد مفهوم التعصب من المفاهيم التي ترتبط أيضاً بالعنف ويمكن تعريف التعصب بأنه نسق الإدراكات والمشاعر والتوجهات السلوكية السلبية المتصلة بأعضاء جماعة معينة كما يمكن تعريفه بأنه اتجاه يجعل صاحبه يفكر ويشعر ويسلك طرقاً مفضلة أو غير مفضلة نحو جماعة من الأشخاص أو أعضائها الأفراد^(١).

أنماط العنف :

يصنف العنف بشكل عام إلى العنف العادى والعنف غير العادى حيث يتم إساءة استخدام العنف ويقصد بالعنف العادى ذلك النمط من العنف الذى يستخدم فيه بشكل عادى - اللطم - الدفع - الصفع. وقد يعد تكرار مثل هذه الأشكال البسيطة للعنف شيئاً عادياً أو مقبولاً، حيث تعتبر على سبيل المثال جزءاً من العقوبة الموجهة للأطفال فى إطار تأديبهم أو تربيتهم أو جزءاً من التفاعل بين الزوجين أو غير هذا من مجالات التفاعل الإنسانى فى الحياة اليومية. بينما يقصد بالعنف غير العادى إساءة استخدام العنف عن طريق استخدام الأفعال العدوانية التى تتضمن «اللكمات» و «العض» و «الخنق» و «الضرب» و «إطلاق النار»، وتعد تلك الأفعال أشد أفعال العنف خطورة لما يمكن أن يترتب عليها من إيذاء بدنى^(٢).

ومن جهة أخرى، قد يتم تصنيف العنف من حيث القائم به إلى :

(١) عبس الهادى الجوهري: قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦٤.

(2) Amanda Ross. Op. Cit., P. 1.

(أ) العنف الفردي : ويقصد به ذلك العنف الذى يحدث بين الأشخاص فى الحياة اليومية.

(ب) العنف الجماعى : ويتمثل فى حالة الإرهاب أو الحرب وقد يأخذ العنف الجماعى عدة أشكال تتمثل فى اغتيال الرؤساء، والشغب فى ساحات المدينة والذى يتضمن حرق المتاجر ونهبها، وزرع المتفجرات فى صناديق البريد أو فى مراكز الشرطة الرئيسية، والاستخدام المفرط للقوة من الحرس القومى أو الشرطة من خلال سلطتهم الشرعية، والإبادة الجماعية لشعب أو طائفة^(١).

وقد يصنف العنف وفقاً لمظاهره وأهدافه إلى : العنف السياسى، والعنف الدينى، والعنف الأسرى، والعنف الطلابى.

ويعد العنف السياسى أكثر أنواع العنف انتشاراً وأشدّها خطورة فى المجتمع. ويعنى ذلك النمط من العنف تعمد إنزال أو التهديد بإنزال الإيذاء البدنى أو الضرر من أجل أهداف سياسية^(٢).

أما عن العنف الدينى فيعد هذا النمط من العنف نتاجاً لتصارع الجماعات الدينية فيما بينها أو للصراع على السلطة. وقد يرجع إلى أسباب عرقية أو عنصرية^(٣).

(1) James William Coleman and Donald R. Gressey. Op. Cit. P. 493.

(٢) وقاء محمد البرعى : دور الجامعة فى مواجهة التطرف الفكرى، ط ١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ١١١.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٣ - ١١٤.

أما عن العنف الأسرى فنجد أن هذا النمط من العنف يعد من المشكلات الرئيسية التي ظهرت في المجتمع الحديث ويأخذ العنف الأسرى شكل الإساءة للطفل أو الإساءة للأزواج أو الإساءة لكبار السن وقد يمتد ليشمل الإساءة للإخوة أو الأخوات والإساءة للآباء^(١).
أما عن العنف الطلابي فيقصد به أحد أنواع العنف الذي يقلق العاملين في المؤسسات التعليمية كما يقلق السلطة السياسية في المجتمع، حيث يمثل الطلاب قوة لا يستهان بها في المجتمع^(٢).

ثانياً: التعليم الثانوى:

هو المرحلة التي تلى التعليم الأساسى وتسبق التعليم الجامعى^(٣)، وتمثل مرحلة الدراسة الثانوية (عام أو فنى) فئة عمرية من (١٥ - ١٨) سنة، وهى مرحلة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للفرد من حيث مستقبله التعليمى بالإضافة إلى ما يمر به من تغيرات فسيولوجية تتمثل فيما نعرفه بمرحلة المراهقة^(٤).

(1) Delwyn and Eva Tattum. Op. Cit., P. 9.

(٢) محمد جواد رضا: «ظاهرة العنف فى المجتمعات المعاصرة: تفسير سوسيو سايكولوجى»، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد ٣، أكتوبر ١٩٧٤، ص ١٥٥ - ١٥٨.

(٣) نجوى حسين عبد الفتاح المسيرى: فلسفة التعليم الثانوى وتطوره، دراسة مقارنة بين كل من مصر والولايات المتحدة الأمريكية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول التربية، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥١ - ٥٢.

(٤) على السيد الشخيبى وآخرون: التعليم الثانوى، موسوعة سفير لتربية الأبناء، المجلد الثالث، شركة سفير، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٨٨.